عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين
سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة التي من الحجر كأن كفه كف
عطار طيبًا مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع على رأس الصبي يده فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه
وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن
في آخر زمانه وكان لحمه متماسكًا يكون على الخلق الأول لم يضره السن وأما مشيه
عليه السلام فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيًا
ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان صلى الله عليه وسلم
يقول أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم أشبه
الناس بي خلقًا وخلقًا وكان يقول إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا أحمد وأنا محمد
وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد
وأنا الحاشر يحشر الله تعالى العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول
التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعًا وأنا قثم قال أبو البختري
والقثم الكامل الجامع صلى الله عليه وسلم

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى
إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته
لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته
مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق
ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل
دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبًا بحيلة
تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية
وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة
بصدقه حتى إن العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب
بالصدق ... شمائله فكيف من يشاهد أخلاقه ومارس أحواله في مصادره
وموارده صلى الله عليه وسلم وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف
وليتنبه لصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند
الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع
... طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيمًا ... تحمله على رقبته
حصل له من محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة ... هكذا يكون

قال نعم

قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بعثك نبيًا بالحق لا أعمل على شيء
أبدًا وقال صلى الله عليه وسلم إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم
أن تنافسوا وإنما أخاف التنافس في المال ولذلك قال عمر في حديث طويل يذكر فيه
مال بيت المال إني لم أجد نفسي فيه إلا كالولي مال اليتيم إن استغنيت استعففت
وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروي أن ابنًا لطاووس افتعل كتابًا عن لسانه إلى عمر بن
عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طاووس ضيعة له فبعث به إلى عمر هذا مع
أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع الدرجة
الثانية هو أن يأخذ من مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة
حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من
الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه
كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم
إنكارًا عليهم وأشدهم ذمًا لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو
في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذًا عند الله بها فقالوا
له إنا لنرجو لك خيرًا حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت
فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة
وسترد فترى وفي حديث آخر أنه قال إن الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قد وليت
البصرة ولا أحسبك إلا وقد أصبت منها شرًا فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال
ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة بغير طهور
ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرف إلى الخيرات وعن ابن
عمر أنه قال في أيام الحجاج ما شبعت من الطعام مذ انتهبت الدار إلى يومي هذا
وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل له أتفعل
هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال أما إني لا أختمه بخلًا به ولكن أكره أن يجعل فيه
ما ليس منه وأكره أن يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان
ابن عمر لا يعجبه شيء إلا خرج منه فطلب منه نافع بثلاثين ألفًا فقال إني أخاف
أن تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فأنت حر وقال أبو سعيد
الخدري ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر فبهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن
كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدري أنه حلال أو حرام الدرجة الثالثة أن يأخذ
ليتصدق به على الفقراء ويفرقه على المستحقين فإن ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع
فيه أي يتصدق به فإذا كان السلطان إن لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على
ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء